استلهم الجوانب الروحية في الزخارف الإسلامية

الجوانب الإنسانية في أعمال الفنان فرج عبو

شناشيل بغدادية

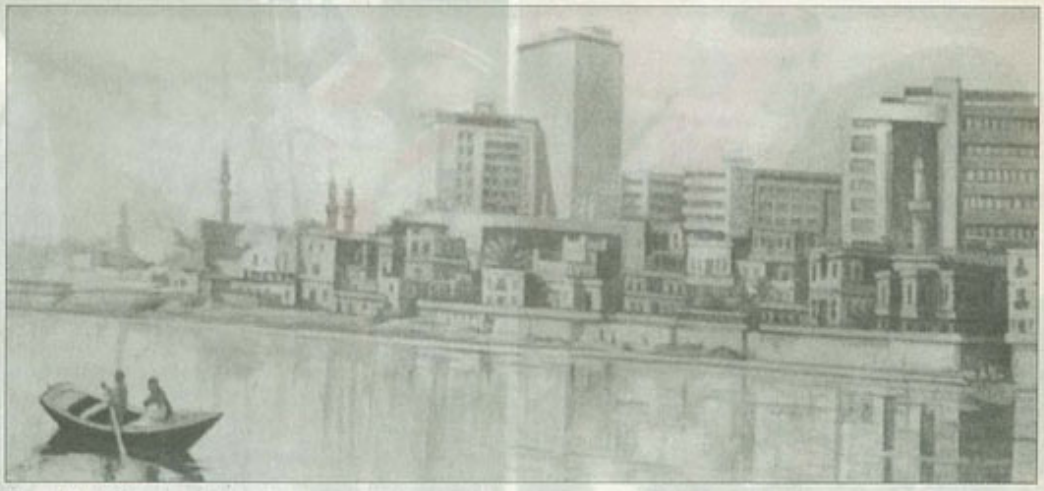

منظر عام لنهر دجلة

■ علي فوزي ■

سيبقى سجل الحركة التشكيلية العراقية المعاصرة زاخرا بأسماء العديد من الفنانين الرواد الأوائل أصحاب الجهود الفردية الخلاقة التي أضاءت سماء الحداثة والمعاصرة ومهدت الطريق للأجيال القادمة، وساهمت إبداعاتهم في ترسيخ دعائم هذه الحركة المتطورة دوما وبلورة خطابها الفكري والبصري وحمل لوائها والسير بها على طريق العالمية.

وفي مقدمة هذه الأسماء يبرز دائما اسم الفنان الرائد جواد سليم ورفيق دربه الفنان فائق حسن وغيرهم ممن ساهمت أعمالهم في دهشة المشاهد وتغيير ذائقته البصرية عن طريق السعي الجاد من جانب هؤلاء لتبديل الرؤية النمطية للمألوف إلى رؤية الجديد المتطور باتجاه المعاصرة، ومن هؤلاء الرواد الفنان عطا صبري وأكرم شكري وإسماعيل الشيخلي وجميل حمودي وإسماعيل فتاح وسعد شاكر وسعد الطائي وشاكر حسن آل سعيد وضياء العزاوي.

وفرج عبو ذلك الفنان الفذ المولود في الموصل عام 1921 صاحب الخيال الخصب والأفق المتسع، والى جانب صفاء الذهن والرغبة في التأمل البصري يجمع الفنان فرج عبو في ذاته الإبداعية الخلاقة بين الموهبة الصادقة المتقدة والثقافة البصرية والتراثية الجادة المستمدة من الوعي الحاذق بأهمية التراث كمخزون ثقافي ثري بالإضافة إلى امتلاك الفنان لتلك النظرة الواعية المنفتحة دوما على الجيد والجديد في الابداعات العالمية.

اكتشاف التنويعات

وفي بدايتها تميزت التجربة البصرية لفرج عبو بالتركيز الشديد على محاولة اكتشاف التنويعات الأسلوبية المتتالية التي صاحبت عالم الحداثة الذي نجح الفنان في رصد مراحل تطوره ومتابعة خصائصه دون التخلي عن ذلك الوعي الاجتماعي الذي ساعده على رصد تفاصيل التطور الحضاري في مجتمعه المحلي والتعاطي مع هذا التطور من منظور إنساني بحت ساهم في معايشة الفنان لحياة الطبقة الكادحة والتعبير عن مشاكلهم وآمالهم إلى جانب الاهتمام بضرورة الاستفادة في صياغة إبداعاته من المخزون الثقافي الهائل للحضارة العربية والإسلامية خلال مشواره الفني على طريق المساهمة في تطوير المشهد التشكيلي العراقي والسير به على طريق المعاصرة.

وكانت الواقعية التعبيرية تمثل الاتجاه العام السائد في بدايات التجربة البصرية للفنان ولفترة طويلة من الزمن أنجز خلالها مئات الأعمال الفنية المتميزة التي تراوحت بين الواقعية التعبيرية والانطباعية التي جسد من خلالها عشقه لجماليات البيئة المحلية حيث الأصالة في المباني والمساجد في الأحياء القديمة والمقاهي والمتاجر في الأزقة الضيقة والشناشيل على نهر دجلة وغيرها.

الظل والضوء

ورغم غزارة الإنتاج اهتم الفنان خلال تلك الفترة بدراسة الظل والضوء وعلاقتهما بموضوع العمل إلى جانب الاهتمام بتجسيد الحركة الداخلية للأشياء حيث سارت تجربته الإبداعية نحو بعدين متوازيين ومتلازمين في نفس الوقت، ويعنى البعد الأول بالجانب المرئي للأشياء، أما الثاني فيعنى بالجانب المحسوس المعنى بالمحتوى الداخلي للأشياء، وخلال تعاطي الفنان مع البعد الأول جسد جماليات الطبيعة بمنظور واقعي متطور تفوح منه رائحة الحداثة والمعاصرة ويستطيع الراصد أن يقرأ ذلك الحس الفني المتطور خاصة في تلك اللوحة الرائعة «عمال الموانئ» التي كانت ضمن الأعمال الفنية التي تقدم بها الفنان للحصول على درجة الماجستير من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة بمصر عام 1950 وهي الفترة الزمنية التي تطور خلالها تعاطي الفنان مع تلك الموضوعات التي تجسد الجوانب الإنسانية في مجتمعه والمستمدة من أصالة التربة وعراقة التراث الذي يجمع بين العديد من الحضارات على أرض العراق.

وعلى طريق التجديد كان السعي باتجاه التجريد حيث تعددت دراسات الفنان للمفردات الهندسية الزخرفية المستمدة من التراث العربي الإسلامي إلى جانب التعمق في دراسة جماليات العمارة التراثية وأثرها في بناء التكوينات الفنية الإنشائية ذات الطابع الهندسي التجريدي.

ولم تقف دراسات الفنان عند هذا الحد بل وصلت إلى دراسة الأساليب والإبداعات التجريدية المتنوعة حول العالم والغوص في مضامينها الشكلية والداخلية فبدت علامات الاختزال في الشكل واللون تظهر بوضوح فوق فضاءات أعمال الفنان التي جاءت في غالبية الأحوال لتؤكد العلاقة بين المرئي والمحسوس من خلال مفردات مستمدة من جماليات البيئة إلى جانب تغير الأجواء العامة على سطح اللوحة إلى السوريالية أحيانا والرمزية التعبيرية أحيانا أخرى، وخلال تلك الفترة ركز الفنان جل اهتمامه على تجسيد جماليات تلك الخصوصية المعمارية في المباني التراثية العريقة فجاءت أعماله بمثابة السجل البصري الذي يؤرخ تشكيليا لتلك الفترة الحضارية في تاريخ العراق.

وفي بداية السبعينيات بدأت الأعمال التجريدية الجديدة لفرج عبو تكتسب تفردا وذاتية تنعم بخصوصيتها التي تحفظ لها أصالتها وروعة تمسكها بالجذور والهوية العربية.

وقد تجسد البعد الرمزي والواقعي على حد سواء في تلك الأعمال التجريدية التي استلهمت الجوانب الروحية في الزخارف الإسلامية التي أعاد الفنان صياغتها مستفيدا في ذلك من التقنيات التلوينية المتطورة خاصة في مجال التعاطي مع خامة ألوان الزيت التي يعشق الفنان التعامل بها كوسيط معتاد ينقل أحاسيسه الصادقة على أسطح أعماله.

... بقي أن نعرف ان الفنان فرج عبو درس الفن في العراق ومصر وروما وعمل بتدريسه في أكاديمية الفنون بالعراق وله العديد من الكتب والأبحاث في هذا المجال الذي كرس له الفنان عشقه وحياته، وقد أقام العديد من المعارض داخل وخارج العراق ومازالت أعماله تحتاج إلى المزيد من البحث والتحليل من جانب الدارسين والباحثين والراصدين للإبداع الإنساني حول العالم.

اهتم بالعلاقة بين المرئي والمحسوس والظل والنور